الشيخ أبو العباس الهلالي ودوره في البسملة.

سلسلة (8/ 1)

د/ أحمد فاضل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين أنزل القرآن الكريم كتابا مباركا ﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [سورة ص آية 28]﴾. والصلاة والسلام على نبينا محمد المبعوث بالحكمة وفصل الخطاب، وعلى آله وصحبه وتابعيهم من كل عبد صالح أواب، وسلم تسليما كثيرا إلى يوم العرض على الملك التواب.

أما بعد؛

فإن جلة من علماء الأمة من المغاربة جمعوا بين العلوم عقليها ونقليها، وتبحروا في فنون المعارف كلها، ومن بين علماء المغاربة الذين جمع الله لهم من العلم ما تفرق في غيرهم: العلامة المقرئ، الفقيه المحدث، الراوية المحقق المشارك، أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن رشيد بن محمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي.

فقد كان –رحمه الله– علما من أعلام المعرفة بسجلماسة في كل العلوم، وعلى رأسها علم القراءات الذي بزغ فيه نجمه، وذاع فيه صيته، حتى صار مفزع طلبة العلم في الأخذ عنه، وسؤاله عما أشكل عنهم فيه من صحيح القراءات وشاذها، وضعيفها ومنكرها، وتحقيق القول في تجويدها وهيئات حروفها.

وتروم هذه الورقة المختصرة التعريف بهذا العلم المغربي السجلماسي، الذي ترك بصماته الخالدة جلية في بث علم القراءات ونشر ما اندرس منها في زمانه، وذلك من خلال ذكر اسمه ونسبه، وولادته ونشأته، ومكانته العلمية، ومؤلفاته القرائية، ووفاته، مع ذكر كلام دقيق وتحقيق نفيس له في مسألة البسملة هل هي من القرآن أم لا؟.

فأقول مستعينا بالله عز وجل:

1) **اسمه ونسبه:** هو: أبو العباس أحمد بن عبد العزيز بن رشيد بن محمد بن عبد العزيز بن علي بن امحمد – فتحا – بن محمد – ضما – ابن الإمام أبي إسحاق إبراهيم بن هلال السجلماسي.

2) **ولادته:** ولد الشيخ أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي بسجلماسة بتافيلالت سنة (1113هـ) وبها بدأ تكوينه العلمي ثم التحق بفاس وانكب على تحصيل العلم بها حتى كان له فيه شأن عظيم، ثم تولى التدريس بها إلى أن صار من أعلام شيوخ العلم بالحضرة الفاسية[1].

3) **نشأته:** نشأ الشيخ الهلالي في بيئة علمية رفيعة ورث فيها العلم كابرا عن كابر، فجده أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الأكبر من العلماء الأجلاء، وصفه الشيخ عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس: "**باز النوازل**"[2].

مكانته العلمية.

أورد أرباب التراجم الذين عُنوا بسيرة الشيخ الهلالي –رحمه الله– شهادات عدةً تنبئ عن مكانة الشيخ العلمية منها :

1 . شهادة عبد الحي الكتاني –رحمه الله– حيث قال عند التعريف بالهلالي: "**علامة المنقول والمعقول**"[3] .

2 . شهادة محمد بن عبد الله الحضيكي –رحمه الله– في طبقاته : "**كان أعلم أهل زمانه وأتقاهم وأزهدهم في الدنيا وأرغبهم في الآخرة، وأحبهم لله ولأهل حزبه، وأورعهم وأحرصهم على إقامة الدين، وأشدهم تمسكا بالسنة المطهرة واتباعها**"[4].

3 . شهادة أبي عبد الله محمد بن الطيب القادري في التقاط الدرر: "**كان آية في الاعتناء بالعلم وتقييده، ورأسا في الاقتصاد والعبادة، فلا تراه إلا مطالعا أو مدرسا أو ذاكرا**"[5].

---

1 ينظر فهرس الفهارس 1099/2.
2 نفسه
3 نفسه 1099/2.
4 طبقات الحضيكي 116/1.
5 التقاط الدرر، ومستفاد المواعظ والعبر ص 444.

وقال عنه في نشر المثاني: "**ومنهم العالم العلامة المحقق المشارك الصالح الناصح، القائم في فساد الزمان بنصرة الدين، سيف السنة القاطع للمفسدين، وشمس الهداية للمهتدين، شيخنا سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي...**"[6].

4 . شهادة الشيخ محمد مخلوف في شجرة النور الزكية: "**العالم المتبحر في العلوم عقليها ونقليها، الفقيه المحدث الراوية...**"[7].

5 – وقال عنه العلامة الشيخ سعيد أعراب في كتابه: "القراء والقراءات في المغرب": "**كان إماما متبحرا في العلوم كلها...**"[8].

آثاره القرائية.

خلف الشيخ أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي –رحمه الله– تركة علمية نافعة في مجال القراءات ذكر منها مترجموه ثلاثة كتب:

1 - **عرف الند في حكم حذف حرف المد**، أو الزهر الربيعي في حكم المد الطبيعي[9].

2 – **إجراء الوصل مجرى الوقف في غير المواضع التي نقل منها.**

نسبه إليه الأستاذ سعيد أعراب في كتابه: "القراء والقراءات في المغرب"[10].

وَنُسِبَ مِثْلُهُ إلى عمرَ بن عبد الله بنِ عمرَ بنِ يوسفَ الفاسي، كما هو مرقون على صفحة مركز أبي عمرو الداني في فتويين نشرهما الباحث بالمركز الأستاذ: سمير بلعشية.

3 – **أجوبة في مواضع مختلفة من مسائل القراءات.**

---

6 نشر المثاني 4/ 143

7 الشجرة ص 355 ترجمة رقم 1420.

8 القراء والقراءات في المغرب (ص:140).

9 القراء والقراءات في المغرب (ص:140). والكتاب حقق من قبل الدكتور إبراهيم أيت وغوري بدار الحديث الحسنية تحت إشراف الأستاذ الدكتور محمد الرواندي. سنة: 2003/2004م في رسالة علمية لنيل دبلوم الدراسات العليا، وقد طبع الكتاب من قبل دار الكتب العلمية بلبنان في طبعته الأولى سنة 2009م.

10 القراء والقراءات في المغرب (ص:140).

وقد ذكر له ذلك أيضا الأستاذ سعيد في كتابه: "القراء والقراءات في المغرب"[11] ومن تأمل كتاب: "**عرف الند في حكم حذف المد**" يجد فيه أيضا أجوبة متعلقة بمسائل القراءات.

وفاته.

لبى الإمام الشيخ العلامة سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي نداء ربه بعد عمر حافل بالعطاء تدريسا وإقراء، وتأليفا وإفتاء، يوم الثلاثاء الحادي والعشرين من ربيع الأول عام ألف ومائة وخمس وسبعين للهجرة (1175هـ) بسجلماسة ودفن بها[12].

وذكر الأستاذ سعيد أعراب في كتابه: "القراء والقراءات في المغرب" أنه توفي سنة: (1165هـ) ولم أره لغيره ممن ترجم للشيخ، ولعله سبق قلم، والتحقيق ما تقدم، يدلك عليه ما في المعسول أن تلميذه الفلالي ضبط وقت وفاته بالساعة والليلة والسنة فقال: "توفي ليلة الثلاثاء الحادي والعشرين من ربيع الأول، قبل الفجر بساعتين عام خمسة وسبعين ومائة وألف"[13].

تفصيله القول في البسملة وترجيحه لقرآنيتها.

أورد الهلالي –رحمه الله– في كتابه: "نور البصر في شرح المختصر" الكلام عن البسملة وما يتعلق بها من تفسير وإعراب وتركيب وفضل ورسم ... وحصر ذلك في ثمان درر:

- الدرة الأولى: في تفسير مفرداتها.
- الدرة الثانية: في إعرابها.
- الدرة الثالثة: في معناها التركيبي.
- الدرة الرابعة: في سبب الابتداء بها.
- الدرة الخامسة: في حكمها.

---

11 القراء والقراءات في المغرب (ص:140).
12 ينظر فهرس الفهارس 1100/2 التقاط الدرر 446 نشر المثاني 149/4.
13 -المعسول 39/6.

- الدرة السادسة: في فضلها.
- الدرة السابعة: في رسمها.
- الدرة الثامنة: في كونها من القرآن.

ونقف في حلقة اليوم مع الدرة الثامنة المتعلقة بالاختلاف الحاصل في قرآنية البسملة، يتلوها تفصيل الدرر السبع المتبقية في الحلقات القادمة بمشيئة الله عز وجل.

وفي درتنا المعروضة اليوم يعرض الهلالي أقوال أهل العلم واختلافهم في البسملة هل هي آية من القرآن أم لا؟، مرجحا من خلال عنوان الدرة الثامنة أنها آية منه.

قال –رحمه الله–: "في أوائل السور سوى براءة، وقع بين أئمة السلف من الفقهاء والقراء فيها خلاف كثير، ذهب أهل المدينة والشام والبصرة، إلى أنها ليست منه في ذلك، وعليه فهي مجرد ذكر جيء به للتبرك، كما يجاء بها في أوائل الرسائل والتآليف، وذهب أهل مكة والكوفة إلى أنها منه، ثم اختلف القائلون بالثاني اختلافا كثيرا.

قال الشهاب في حواشي البيضاوي ما نصه: "في البسملة –في غير النمل، فإنها فيها بعض آية بالاتفاق– أقوال عشرة:

الأول: إنها ليست من السور أصلا.

الثاني: إنها آية من جميعها غير براءة.

الثالث: إنها آية من الفاتحة دون غيرها.

الرابع: إنها بعض آية منها فقط.

الخامس: إنها آية فذة أنزلت لبيان رؤوس السور، أو للفصل بينها، وهذا وإن ارتضاه متأخرو الحنفية، لا نظير له؛ إذ ليس لنا قرآن غير سورة، ولا بعض منها.

السادس: إنه يجوز جعلها آية منها، وجعلها ليست منها، بناء على أنها نزلت بعضا منها مرة ولم تنزل أخرى؛ لتكرر النزول استقلالا، أو لمدارسة جبريل ؛ في كل

سنة، وهكذا سائر القراءات، وهو المشار إليه في حديث: «أُنْزِلَ الْقُرْآنُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ كُلُّهَا كَافٍ شَافٍ»[14] وهذا أغربها.

وكان ابن حجر يرتضيه ويقرره في دروسه، ويدفع به الاعتراض بأن القرآن قطعي التواتر، فكيف يصح إثباته أو نفيه بدونه، فيقول: إثباتها ونفيها حينئذ متواتران كسائر القراءات، وقد نقله القراء كأبي شامة[15] وغيره.

وأطنب في تحسينه السيوطي في حواشيه[16].

فإن قلت: لو سلم هذا لجاز على سائر المذاهب الجهر بها وعدمه، ولا قائل به، وأيضا لم يعهد في وجوه القراءات اختلاف في الآيات، بل في الحروف وهيئاتها، ووقع في بعض حروف المعاني. وهذا سر التعبير عن القراءات بالأحرف في الحديث وتقليلها، وإن اندفع به الاعتراض بأنه قرئ بالبسملة في السبعة، وهي متواترة فيما عدا الأداء، فكيف صح تركها؟.

قلت: هذا غير وارد، فإنه يجوز ترجيح أحد المتواترين به، وإن لم يبلغ غيره مرتبته مع تواتره، كما في وجوه القراءات السبعة، وكونه خلاف المعروف يبعده ولا يبطله.

السابع: إنها بعض آية من جميع السور، كما نقله السيد.

الثامن: إنها آية من الفاتحة وجزء آية من السور.

التاسع: عكسه.

العاشر: إنها آية فذة أنزلت مرارا[17].

قال الشيخ زكرياء في حاشية البيضاوي: "إن قلت لو كانت من القرآن لكفرنا بها

14 أخرجه بهذا اللفظ النسائي في كتاب الافتتاح، باب جامع ما جاء في القرآن ح:940 .

15 عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي الدمشقي، ولي بها مشيخة دار الحديث الأشرفية، له كتاب الروضتين في أخبار الدولتين: الصلاحية والنورية، وذيل الروضتين. وفاته عام (665هـ) ترجمته في وفيات الأعيان (1: 278).

16 الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (1: 69).

17 حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي (1: 28).

قلت: ولو لم تكن منه لكفر مثبتها، وأيضا التكفير إنما يكون بالقطعيات لا بالظنيات.

وإليه أشار ابن الحاجب[18] في أصليه بقوله: "قوة الشبهة منعت من التكفير من الجانبين"[19].

هذا ما أورده الشيخ الهلالي –رحمه الله– عن البسملة وأقوال أهل العلم الحاصل في قرآنيتها عند من أثبتها منه، وعدم قرآنيتها عند من نفاها منه، وهو بذلك يؤيد قرآنيتها انطلاقا من عنوان الذرة، حيث قال: – الدرة الثامنة: في كونها من القرآن[20].

وهي نبذة مختصرة معرفة بهذا العلم الفذ من أعلام مغربنا الحبيب في القراءات القرآنية، ووجهة نظره في بعض قضاياها الاختلافية.

وتلك النبذة بمثابة قبس من نور لمن أراد أن يوسع بحثه عن هذا الشيخ وتراثه الغني المتنوع قراءة وفقها وعربية، والله الموفق والهادي على سواء السبيل، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

الدكتور: أحمد بن محمد فاضل

18 أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر ، صنف في أصول الفقه، وكل تصانيفه في نهاية الحسن والإفادة، وخالف النحاة في مواضع، وأورد عليهم إشكالات وإلزامات كان من أحسن خلق الله ذهناً. توفي سنة (646) ترجمته في وفيات الأعيان (3: 248).

19 منتهى الوصول والأمل، في علمي الأصول والجدل، مبحث الأدلة الشرعية (الكتاب) (ص:46).

20 نور البصر في شرح المختصر (ص:159- 160).

لائحة المصادر والمراجع على ترتيب الإملاء

1 -فهرس الفهارس والأثبات، ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات. محمد بن عبد الحي الكتاني، اعتناء إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.1982.

2 -طبقات الحضيكي تحقيق الدكتور أحمد بومزكو مطبعة النجاح الجديدة الطبعة الأولى 2006.

3 -التقاط الدرر، ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر لمحمد بن الطيب القادري (ت1187هـ) تحقيق هشام العلوي منشورات دار الآفاق الجدية، الطبعة الأولى 1983م

4 -نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني لمحمد بن الطيب القادري (ت1187هـ) تحقيق محمد حجي وأحمد التوفيق دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر.

5 –شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: الشيخ محمد بن محمد مخلوق، دار الكتاب العربي، بيروت.

6 -القراء والقراءات في المغرب لسعيد أعراب دار الغرب الإسلامي الطبعة الأولى 1410هـ/1990.

7 –موقع مركز أبي عمرو الداني على الشبكة العنكبوتية، مقال للباحث سمير بلعشية حول فتوى قرآنية تتعلق بمسألتين: مسألة إسقاط المد الطبيعي، ومسألة إجراء الوصل مُجرى الوقف في غير المواضع التي نُقِل فيها.

8 – المعسول لمحمد المختار السوسي مطبعة النجاح البيضاء.

9 -السنن الصغرى للنسائي لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت303هـ). تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة مكتب المطبوعات الإسلامية الطبعة: الثانية، 1406هـ/1986م.

10 – وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان لأبي العباس أحمد بن خلكان، تحقيق عباس إحسان دار صادر.

11 – الإتقان في علوم القرآن لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت911هـ) تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة: 1394هـ/ 1974م.

12 – حاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي لشهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي (ت 1069هـ) دار صادر.

13 – 1 منتهى الوصول والأمل، في علمي الأصول والجدل، لأبي عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت646) دار الكتب العلمية الطبعة الأولى 1405هـ/1985م.

14 – نور البصر في شرح المختصر لأبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي (1175هـ) تحقيق: أحمد فاضل والحسين أبو الوقار وعبد العزيز أيت المكي، طبع المجلس العلمي المحلي لأنزكان–أيت ملول الطبعة الأولى1435هـ/2014م